الجزء الثالث — المجلد السابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز «يوليو» سنة ١٩٦٢ م — ٢٩ من محرم سنة ١٣٨٢ هـ

من ذخائر قُبة الملك الظاهر

وصف ثلاث مخطوطات نوادر (★)

إن المجمع العلميّ العربيّ الذي أنشئ بدمشق لنشر الثقافة العربية والمحافظة على سلامة لغتها ، ما زالَ يُعنى منذ إنشائه بالتراث العربي القديم وبذخائر قبة الملك الظاهر خاصةً ، وذلك لما اشتملت عليه من مخطوطات نوادر لا توجد في غيرها من خزائن العالم ، وفي مجاميعها الخطيّة من رسائل العلم والأدب لعلماء وأدباء يُبحث عن آثارهم ، وهي خليقة بالتحقيق والنشر ، ولكن تلك المجاميع

(★) اثنتان منها في القبة الظاهرية وهما المطر والسحاب والروّاد لابن دريد ، وكتاب الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي ، والثالثة وهي (منتهى الطلب من اشعار العرب) بالآستانة في المدرسة السليمانية .

لم تُدرس بعدُ دراسة علمية ، فظلّت مجهولة المواضيع ، ولا يكتفي بالكلام عنها بذكر عناوينها ، أو بكلمة مجملة لا تكشف عن مضامينها ،

وإن في القبة الظاهرية تراثاً من المخطوطات لا ينضُب ، وكنزاً من ذخائر العلم لا ينفد ؛ فإذا ما عمل الخلفُ العربيّ على نشر تراث سلفه الصالح للحياة ، كان في عمله هذا برُّ الأبناء بالآباء ، بإحياء ذكرهم ، والاهتداء في خدمة العلم بهديهم ، وبإطلاع الأمم الناهضة على ما كان لآبائهم من فضل علميّ وحضارة زاهرة ، فلولا مخطوطات تراثنا القومي وما بين دفائن الخزائن من آثار الكنديّ وابن رشد والغزاليّ وابن تيمية ، وابن حزم وابن الهيثم والمعرّي وأمثالهم من سدَنة كعبة العلم والادب ، لولا هذه المخطوطات التي حفظت لنا آثارَهم وأخبارَهم ، لما عرفنا مبلغَ سلفنا العربيّ من العلم ، ولما اعترفَ المنصفون من المستعربين بحضارةٍ للعربِ أو بخدمتهم لعلمٍ أو لأدب .

وفي نشر التُراث القوميّ توثيقٌ لعُرى الخلَف العربيّ الحاضر بسلفه الغابر ، وفيه تأميم للتعليم ، فكم هنالك من مخطوطة نادرة في كُتبيّات[1] المنازل أو خزائن المدارس ، أو دور الكتب لا يطالعها في وقت واحدٍ إلاّ طالب علمٍ واحد ، فإذا ما بُعثت بالنّشر من مَرقدها ، وانتشرت بين جموع الشعب أصبحت كتاباً مُوَتَّماً والخلَف المتخلّف مَلِيًّا ، وأصبح طالب العلم يقرأها بيُسرٍ ، بعد أن كان لا يقرأ خطّها إلاّ بتحديقٍ شديدٍ وبكدّ ذهنٍ وإعنات رَويّة ، وقد تكون المخطوطة النادرة هيَ الوحيدة في خزائن الأرض فهي عُرضة لسَرقة لُصوص الأسفار أو للهيب النار ، وبالنشر تصبح في أمان من غوائل الزمان .

كما أنّ في نشر (ذخائر قبة الملك الظاهر) نشراً لحضارة الشامية ، وذكراً

(١) ولا تزال خزائن الجدران بمنازل دمشق القديمة تسمى كتبيات يوم كانت تزدان بالكتب أغذية العقول ، فأمست تزدان بأواني الصيني المُعدّة لأغذية البطون .

خالداً لما كان بدمشق الخالدة من مدارس ومدرسين ، ومن علماء وأطباء ومهندسين ، ولما كان فيها من معامل ومصانع وصناعات (١) ومراصد ومستشفيات كان العرب بها من حداة رَكب العلم ، وفي طليعة القافلة البشريّة .

ذخائر القبة الظاهرية . — من ذخائر هذه القبّة ونوادر مخطوطاتها كتابان جليلان هما : كتاب المطر والرُّوّاد ، وكتاب الدلائل في غريب الحديث . والكتاب الثالث (منتهى الطلب من أشعار العرب) وهو في اصطنبول من ذخائر دار الكتب السليمانية .

١ — **أما الكتاب الأول** هو أقدم هذه الثلاثة ، فإنه لإمام البصرة في زمانه أبي بكر بن دريد الأزديّ ، الذي نعتوه بأنه كان أعلم الشعراء وأشعر العلماء ، وقد وُلد في خلافة المعتصم (٢٢٣ — ٣٢١ ه) ، وتُوفّي ببغداد في اليوم الذي تُوفّي فيه الإمام الجُبّائي المتكلّم فقال الناس : اليومَ مات علم اللغة والكلام .

وهذا الكتاب الأوّل ، هو كتاب (المطر والسّحاب والرُّوّاد) كما جاء في صفحة عنوانه ، أو كتاب عنوانه (صفة السحاب والغيث وأخبار الرُّوّاد وما حُمِدَ من الكلأ) وجاء اسمه الرُّوّاد مَرّةً ، ومصحّفاً مرة باسم زوّار العرب بدل الرّوّاد ، وصواب التسمية بالجمع بين صفة المطر والسحاب والرُّوّاد ، لأنّ معظم هذا الكتاب هو في وصف المطر والسحاب ، وفي أواخره ثلاثة أخبار في الرُّوّاد ليس غير ؛ ومن الأدباء المعاصرين مَن رجّح أن الهمذانيّ

(١) يدلّ على تقدّم الصناعة بدمشق (قاموس الصناعات الشامية) لفيخنا الجمال القاسميّ ، كما يدلّ على المدارس والمستشفيات (البيمارستانات) كتاب الدارس في المدارس للنعيميّ ، وقد نشره المجمع العلمي العربيّ بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

إنما وضعَ مقاماته على غِرار ما ورد عن الأعراب في وصف السَّحاب ، وأن هذه الأخبار التي رَواها ابن دريد هي المصدر الأول للمقامات ، ومنها حديثان فقط في الجزء الأول من أمالي القالي أولها في نعت الرسول العربيّ للسَّحاب ، وهو برواية كتاب ابن دريد عَينها ، وليس في باب (أمارات الغيث) من المخصّص غير أربعة أخبار [1] قصار منها نعتُ الرسول .

ولغة هذه الأحاديث الدُّريديَّة هي لغة الفصاحة العربية في صدر الاسلام التي يصحّ الاستشهاد بها . ولا يهمّنا بعد ذلك شكُّ غير المُمحّصين في صحة هذه الأحاديث ، فظنُّوا ، والظنّ لا يُغني من الحق شيئاً ، أنها من وضع ابن دريد ، وقد علمنا أن وصف السحب وارتياد مَواطن الكلأ هو دَيدنُ العرب في جزيرتهم أبداً ، وجاء في الحديث أن الصحابه وصفوا للرسول السحابة وَصفاً دقيقاً قبل ابن دريد بدهر طويل .

على أن الأعراب في مَظاعنهم ، وليس بينهم وبينَ السَّحاب حجاب ، يُكثرون بطبيعتهم وفي حمارّة القَيظ وتخلّف الغيث من التحديق في السّماء ، وقد أمسَوا بطول الملاحظة لأشكال السُّحُبِ وألوانها وهَياديها يُميزون بين البَرق الخلّب والبرق المغيث ، وبينَ العارض المُمطر الذي يُترع الغُدْران ، والجفِّ أو الجَهامُ الذي لا يَبلُّ القيعان ؛ ولا يُستبعد بعد ذلك ما جاء عن صبيان الأعراب في وصف السحاب ، فإنهم لكثرة ما يَسمعون في مَجالس الخيام من كلام الوصّافين للسُّحب ، ولما يحفظونه من عبارات وَصفها ، قد أصبح يَسيراً عليهم وصفُها بيُسرٍ وذلاقةٍ ، ولطالما التقطَ الأصمعيُّ أوصافهم الصحيحة وألفاظهم الفصيحة ، ولقد شهدت صبيان الأعراب في بَواديهم [2] يَصفون

(١) المخصص ٩/٩٦ و ٩/١٠٣

(٢) وقد جُبتها ايام فراري من الترك من بادية الشام إلى بَوادي نجد والعراق .

السحاب بلغتهم البدوية ، فليس فيما نقله ابن دريد عن الصبية الثلاثة الذين وصفوا السحاب ما يدعو إلى استبعاد أو ارتياب واستغراب .

إن النسخة الظاهرية لكتاب ابن دريد هي قديمة جليلة ، من مخطوطات القرن الخامس ، وقد ذكر الناسخ أنه نقلها من نسخة مقروءة على أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي وفيها خطه وخبر قراءتها عليه ، ويظهر من صفحة العنوان أن هذه المخطوطة الظاهرية كانت قد وقفت على المدرسة الضيائية بسفح قاسيون [شرقي الجامع المظفري] ، وكانت هذه المدرسة حنبلية ، وفي خزانتها كتب نوادر وقفها كثير من العلماء كالحافظ عبد العزيز وموفق الدين ابن قدامة وابن الحاجب وأشباههم ، وذكر الذهبي أن هذه الخزانة قد نهبت أيام غزوة قازان التترية ، فليس ما يمنع اذن ان يكون كتاب ابن دريد مما نهبه التتر ، وأن أحد المحسنين من الحنابلة قد أعاده إلى مدرسة حنبلية أخرى كالمدرسة العمرية ومنها انتقلت ، ولم تسرق ، الى قبة الملك الظاهر أخيراً .

ومما يدل على جلالة هذه النسخة الظاهرية أن على صفحة العنوان سماعاً بخط علي بن عبد الرحيم السلمي الرقي (٥٠٨ — ٥٧٦ هـ) وقد انتهت اليه — كما ذكر الصفدي — رئاسة معرفة اللغة والعربية وأنه قرأ على أبي منصور [موهوب] الجواليقي ، وتخرج به أمثال العكبري شارح المتنبي ، واعتمد في شرحه على شيخه السلمي الذي قالوا : إنه كان عارفاً بديوان المتنبي علماً ودراية ، وقرأه عليه جمع كبير بالعراق والشام ومصر .

كذلك يظهر أن السلمي ، صاحب السماع المدون على صفحة العنوان ، قد قرأ على شيخه موهوب الجواليقي صاحب المعرب كتاب ابن دريد هذا في وصف المطر والسحاب والرواد ، فإن كثيراً من التصحيح والتوضيح في الهوامش قد كتب بخط موهوب الجواليقي بعبارة (قال موهوب) ، وقد فرغ كاتبها

الحسين بن علي الكاتب من كتابتها في رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة رحمه الله ؛ والكتاب الثاني من هذه الذخائر الثلاث هو :

٢ — **كتاب الدّلائل في غريب الحديث** لقاسم بن ثابت العَوْفيّ السَّرَقُسطيّ ؛ ومن المفيد أن نمهّدَ له بالكلمة التاريخية التالية :

بعد أن دُوّنت اللّغات الأجنبية في المراجع الكبرى من دواوينها ، تفنن علماء اللغة في وضع المعاجم الخاصة بالعلم والفن وبلغات المشهورين من العلماء والشعراء ، فوضعوا معاجم الفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان وعلم النفس والفلسفة ، ووضعوا معجماً خاصاً بلغة شكسبير وغيره ، وكان الأمر عندنا بعكس ذلك فقد بدأت أئمة اللغة والأدب بجمع المفردات من ألسنة الأعراب الفصحاء في البوادي ، ثم صنفوا تلك الالفاظ في رسائل خاصة في الخيل والنخل والسرج واللجام والغيث والسحاب والبحر والسفن والسيل والجبل وأشباه ذلك مما جمعه أبو عبيد في الغريب المصنف وابن سيده الاندلسي في المخصص والربعي في نظام الغريب .

ومن حضارة اللغة العربية وتفنن علمائها انتقالهم إلى لغة الدين بعد الدنيا فقد ألفوا رسائل وكتباً في لغة القرآن والحديث ، ومعجماً خاصاً بلغة الإمام الشافعيّ الذي كان حجة في الفقه والأدب ولغة العرب .

أما لغة الحديث ، والرسول العربي أفصح العرب لساناً وأعلمهم بلغات القبائل ولهجاتها ، فقد اهتم أئمة اللغة وروادها الأولون بما في الأحاديث من مفردات غريبة تحتاج الى شرح وبيان ، فقيل إن أول من جمع في هذا الفن هو أبو عبيدة معمر بن المثنى الذي جمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر رسالةً صغيرة تتألف من أوراق معدودات ، وكلّ كتاب وضع في علم أو فن

وبدئ بتأليفه فانه يكون قليلاً ثم يكثر وصغيراً ثم يكبر ؛ وفي عصر أبي عبيدة جمع النضر بن شُميل المازني رسالة في الأحاديث المشتملة على الغريب ، ومثله صنع الأصمعي وكان كتابه أكبر قليلا من رسالة أبي عُبيدة ؛ ثم جاء أبو عُبيد القاسم بن سَلاّم بعد المائتين فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار في أربعين سنة فكان خلاصة عمره وعمدةَ العلماء في عصره :

وعلى أثرهم جاء أبو محمد عبد الله بن قُتيبة فصنف كتابه المشهور ، ولم يودعه شيئاً من أحاديث أبي عُبيد إلا ما دعت اليه الحاجة فجاء مثل كتابه أو أكبر منه قليلا ؛

وجاء بعد الثلثمائة والستين الامام أحمد بن محمد الخطابي فألّف كتابه المشهور الذي نهجَ فيه نهجَ أبي عبيد وابن قتيبة وقال : ان في كتابيهما غِنًى ومَندوحة عن غيرهما .

وفي زمن الخطّابيّ عاش الإمام الهرويّ صاحب الأزهريّ فصنف كتابه المشهور في غريب القرآن والحديث وسماه كتاب الغريبين[1] ورتبه على حروف المعجم » وكان غرض الهروي من كتابه معرفة الكلمات لغة واعراباً ومعنى ، لا معرفة متون الاحاديث وطرق أسانيدها ، وأسماء رواتها ، فان لذلك علماً مستقلا ؛ ثم جاء الحافظ الاصفهاني فجمع ما فات الهروي في الغريبين في كتاب مفيد سلك مسلك الهرويّ في ترتيبه ، واعترف فيه بسعة بحر اللغة قائلا : إنه سيبقى بعد كتابي أشياء لم تقع لي ولا وقفت عليها لأن كلام العرب لا ينحصر .

وأتى ابنُ الأثير المجدُ الجزريّ أخيراً سالكاً سبيل الهروي والاصفهاني فصنّف كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر) في أربعة أجزاء ، وهو

(١) ومنه بدمشق نسختان جليلتان احداهما في المكتبة الظاهرية ، والثانية في خزانة السيد فخر الدين الحسني من كتب جده الحافظ الشيخ بدر الدين رحمه الله .

اليوم المرجع الوحيد المطبوع لرجال الحديث واللغة ، وأكثر هذه الكتب التي ذكرناها مفقود أو مجهول الوجود ، والباقي منها لا يزال مدفوناً في خزائن الكتب العامة أو الخاصة ينتظر المجمع العلمي العربيّ والغُيُر على العلم من المحققين والناشرين . هذا ، ولم يكتب لصاحب النهاية ابن الأثير أن يطلع على ما صنفه علماء الاندلس والمغرب في الحديث ، فلم يذكر في مقدمة نهايته كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي الذي ألفه بقرطبة سنة ٤٤٩ للهجرة ، وهو اليوم من (ذخائر قبة الظاهر) ، ويذكر لنا الناسخ أنه منقول من كتاب ثابت ابن قاسم الذي بخطه ، وكان كتبه للحكم أمير المؤمنين ، وهو المستنصر الخليفة الأموي العظيم الذي وليَ الخلافة بعد أبيه عبد الرحمن الناصر ، وهو الذي طرّز باسمه أبو علي القالي كتاب الأمالي ، وصاحب خزانة الكتب التي كانت تشتمل على ٤٠٠٠٠٠ كتاب مخطوط والذي أضحت جامعة قرطبة في عهده منار الثقافة العربية في العالم .

وكتاب الدلائل هذا مؤلف لقدمه على طريقة المسانيد ، فيذكر أحاديث الصحابة وعددهم نحو السبعين ، ثم أحاديث التابعين وقد بلغوا أكثر من مائة ، واختار من الأحاديث ما اشتمل على ألفاظ غريبة تحتاج الى شرح لغويّ صحيح ويؤيد أقواله الشارحة بأقوال أئمة اللغة كالأصمعيّ وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري وأمثالهم ، وبما ورد من شواهد الشعر العربي الذي يُستشهد به .

صفة كتاب الدلائل

وكتاب الدلائل هذا يقع في ٣٥٨ صفحة ، والموجود منه هو (الجزء الثاني) وهو من ذخائر قبة الملك الظاهر ، وقد نقل اليها من المكتبة العمرية الباقية أطلالها في الصالحية ، ويستدل من صفحة العنوان أنه كان موقوفاً على المدرسة الضيائية بسفح قاسيون . قال واقفه في أعلى هذه الصفحة ما نصّه :

(وقفه - والأول قبله - الفقير إلى عفو الله تعالى ورحمته عليّ بن سالم ابن سلمان الحمصي رحمه الله تعالى على جميع المسلمين ، وجعله مع كتبه مقراً بالمدرسة الضيائية بسفح قاسيون ، فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما اثمه على الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم) .

وتحت عبارة الوقف اسم الكتاب وهو :

السفر الثاني من كتاب غريب حديث رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين رحمهم الله ، وما جاء في ذلك من اللغات والأمثال والمصادر والشاهد ، تأليف القاسم بن ثابت بن عبد الرحمن العوفي السرقسطي رحمه الله وتحت ذلك ثلاثة أبيات بخطّ الناسخ لأبي الفتح البستي وهي :

يقولون كم تشقى بدرسٍ تديمهُ ... وتُمعنُ فيه دائباً أيَّ إمعانِ

فقلت ذروني إنما أنا كادحٌ ... لأكمل ذاتي أو لأجبرَ نقصاني

إذا لم يكن نقصانُ عمري زيادةً ... لعلمي ، فإني والبهيمةُ سيانِ !

نفاسة هذه النسخة الظاهرية . — إن هذا الكتاب الذي كان في خزانة الحكم أمير المؤمنين الأمويّ بقرطبة وألّف فيها كان مؤلفاً من سفرين كانا في خزانة المدرسة الضيائية بسفح قاسيون ثم انتقلا الى مكتبة المدرسة العمرية وانتقل منها أخيراً إلى قبة الملك الظاهر بفضل الشيخ طاهر رضي الله عنه ، ولكنه لم ينتقل منه إلا الجزء الثاني فقد سُرق أخ له من قبل هو الجزء الاول وأخبرني صديقي أبو عمر الميمني أن كتاب الدلائل لا وجود له في خزائن الأرض ، ولا يعلم مستقرّ الجزء الأول المسروق الا الله ، وحثني على نشره ، ومن أحقّ بنشره من مجمعنا العلمي العربيّ حرسه الله !

ثم راجعتُ كتاب الشيخ عبد القادر بدران (منادمة الأطلال) الذي

طبع حديثاً ، فرأيت أن المدرسة العمرية التي نُقل منها كتاب الدلائل الظاهرية كان آخر المتولين عليها الشيخ توفيق المنيني ، وكان أحد النجديين من طلابها ، وأنه قد سرق منها أحمال خمسة جمال من المخطوطات وفرّ بها إلى نجد ، فخطر ببالي أن السفر الأول من الدلائل قد يكون ضمن هذه الأحمال ، وانى من الحرص على العلم وكتبه أن أشدّ يوماً إلى نجد الرحال ، بحثاً عن هذا السفر النفيس الأول .

٣ — منتهى الطلب من أشعار العرب . — وهذا الكتاب الثالث ليس من ذخائر القبة الظاهرية ، وإنما هو من خزانة كتب شهيد علي [1] المنضمة إلى المكتبة السليمانية العامة التي جمعوا إليها خزائن المدارس الدينية وحذوا حذونا في إنشاء دار الكتب الظاهرية .

ولما ذهبت مع تلامذتي من طلاب كلية الآداب لتركية سنة ١٩٤٩ زرتُ دار الكتب السليمانية فاطلعت على منتهى الطلب ، وقدرته حق قدره ، لما رأيتُ فيه من شعر جاهليّ كثير خلت منه دواوين الشعر المطبوعة ، أو من شعراء لا تذكر لهم كتب اللغة والأدب غير القليل من الشواهد ، وقد يكون بعضُ هذه الشواهد غيرَ مَعزوٍّ لقائله فلا يصحّ الاستشهادُ به ، لأنه لا يُدرَى أمصنوعٌ هو للاستشهاد ، أم صحيح مجهول النسب ؟ ووقع في قلبي يومئذ أن أُحقق هذا السِّفر الباقي من (منتهى الطلب) . خدمة للأدب والشعر ، كيما يتسنى لمحققي التراث العربيّ أن يحصوا الشعر القديم ، ويَعزوا ما يجدونه في هذا السفر الأول من الشعر إلى قائليه ، مع ذكر ما قبله وما بعده ، لأن

(١) ورقه فيها ١٩٤١ ، وبلغني أن الإمام الشنقيطي الكبير لفرحه بهذه المخطوطة التركية نسخها بخطّ يده ، وهي محفوظة في الدار المصرية .

البيت من الشعر وهو في سياقه الشعريّ يزداد لفظه صحةً ومعناه وضوحاً .

إنّ في هذا الديوان الكبير من أشعار العرب من قصائد ومقطّعات ما لا يوجد في كتب الأدب أو دواوين الشعر المطبوعة ، وليس منه في جمهوريتنا العربية إلا صورتان شمسيتان من المخطوطة التركية : إحداهما في القاهرة المعزّية تصوير معهد المخطوطات ، والأخرى بدمشق المحمية في ملك الدكتور عزة حسن ، وهو مَن عرفته في كلية الآداب مثال الطالب الحفيّ بالعلم والأدب ، وعرفته بعد أن أصبح طبيباً (دكتوراً) مثال الرجل الوفيّ ، وكان من برّه أنه قدّم لي مصوّرته الخاصة لمخطوطة (منتهى الطلب) لكيما أسارع الى تحقيقه وإخراجه للناس ، فكان سروري اليوم بهذه الصلة العلمية ممن لي به صلة روحية بمقدار ما شكوت من البثّ والحزن ، وأنا في الأستانة ، يوم ضاقَ بيَ الوقت عن تصوير هذه المخطوطة النادرة .

وقلّ مَن رأيته من العلماء [1] يرجع في التحقيق إلى (منتهى الطلب) ويشير إليه في حواشي ما يحققه من الشعر ، فإن في هذا الديوان العظيم من شعر الجاهلية أو صدر الاسلام ما لا يوجد في غيره من المراجع المطبوعة ، أذكر على سبيل التمثيل ما بلغ إليه نسخي الديوان وهو (النمرّ بن تولب) الذي كان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيّس لحسن شعره ، فان لهذا الشاعر خمس قصائد في منتهى الطلب ، لم يذكر منها محمد بن سلاّم في طبقاته غير بيتين من قصيدته النونية وهما :

أقي حسَبي بفر وبَعزّ عرضي ... عليّ إذا الحفيظة أدركتني
وأعلم أنْ ستدركني المنايا ... فإلاّ أتبعها تتبعني

(١) منهم بالهند الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني وبمصر المجهد عبد السلام هرون في تحقيق المفضليات ، والدكتور عزة حسن في تحقيق ديواني بشر بن ابي خازم وابن مقبل ، ولهما مختارات في منتهى الطلب .

وغير بيت واحد في الإبل من قصيدته اللامية الطويلة وهو :

عليهنّ يومَ الورد حقٌّ وحُرمةٌ وهنّ غداة الغِبّ عندكِ حُفّلُ

وفي مختارات شعراء العرب لابن الشجري قصيدة واحدة للنمر بن تولب ، وهي في منتهى الطلب بزيادة بيتين ، وليس في الشعر والشعراء لابن قتيبة شيء من القصائد الخمس ولم يذكر (حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة) غير بيتٍ واحد من هذه القصائد ، وليس في رغبة الآمل للمرصفي غيرُ ثلاثة عشر بيتاً من لاميته الطويلة المشهورة ؛ وليس في جمهرة أشعار العرب للقرشي إلا قصيدة واحدة هي لاميته المؤلفة من أربعين بيتاً ، وهي سادسة المجمهرات ، وفي أمالي القالي شاهد واحد من نونية النمر بن تولب ، وفي سمط اللآلي للعلّامة الميمني ثلاثة شواهد من الخمس القصائد ، وما أدري فلعلي قد حفظت شيئاً وغابت عني أشياء ، فإن الزمن لم يساعدني على الاستقصاء .

أما السبب في أن هذا الديوان الكبير قد جمع من الشعر والشعراء ما ليس في غيره من الجامع والمراجع فهو أن مؤلفه الذي خُلِق بالشعر مفتوناً كان من غُلاة الكتب والدواوين ، وكانت مدينة السلام بغداد سيدة البلاد بحضارتها وسعة ثقافتها ، وبما اجتمع فيها من علماء وأدباء وشعراء وخطباء ، وبما زخرت به خزائنها من دواوين شعراء العرب أو كتب العلم والأدب المكتوبة بأيدي مؤلفيها ، أو المنقولة عن نسخ المؤلفين ، أو المقروءة عليهم فهي منقحة بمعارضتها ومضبوطة ، ولكن هذه الذخائر والنوادر وا أسفاه ، قد رماها الله بقومٍ من التتر غُلْفِ القلوب سود الأكباد وأعداء للعلم والآداب والقلم والكتاب ، فسلّطوا النار على خزائن الاسفار ، وألقوا ما بقي من نفائسها في دجلة ، فأخّروا المدنية والانسانية دهراً طويلاً .

وكان من فضل الله على العرب أن ألهم مؤلف (منتهى الطلب) قبل

كارثة بغداد التكراء بسبع وستين سنة أن يجمع فيه من الشعر ما تفرّق في كتبه ودواوينه ، وبتلك الكارثة ضاع على العرب من أشعار آبائهم الأولين شعر كثير وعلم بالأدب غزير ؛ ولكن تلك النعمة لم تكن سابغة علينا فإن هذا الديوان المؤلف من أسفار ستّة لم يبق في اصطنبول منه غير السفر الأول المشتمل على الشعر الجاهلي وعلى بعض الإسلامي ، وحفظت لنا السفر الثاني دار الكتب المصرية ، وهو من مخطوطة عربية أخرى غير التركية ؛ وتالله لولا بقاء هذين السفرين لقلق وسادي ، ولأضرمت اللوعة فؤادي !

اما مُؤلِّف (مُنتهى الطلب) فهو الإمام الأديب محمد ابن المبارك بن محمد ابن ميمون البغدادي تلميذ اللغوي الناقد أبي محمد ابن الخشاب ، لقد قرأ عليه كثيراً من شعر ديوانه هذا المؤلف من ستة أسفار كبار اشتملت على عشرة أجزاء اختار لها من شعراء العرب مائتين وأربعة وستين شاعراً ، لهم ألف وإحدى وخمسون قصيدة ، وتسع وعشرون مقطوعة تتألف من تسع وثلاثين ألفاً وتسعِ مئةٍ وتسعينَ بيتاً من الشعر .

أما السفر الأول الباقي من الأسفار الستة فإنّ عِدّة ما تضمنه من الشعراء : ٥٨ شاعراً و ٢١٩ قصيدة ومقطوعتان ، ومجموع أبيات هذا الشعر ٧٢٦٤ بيتاً ، أما شُعراء هذا السفر فهم :

كعب بن زهير ، وله خمسُ قصائد ، ولكل من خُفاف بن نُدبة وعمرو ابن قميئة رفيق امرئ القيس في رحلته إلى القيصر خمس قصائد أيضاً ، ولسلامة ابن جندل قصيدتان ، ولكل من علقمة بن عبدة وتوبة بن الحُمَيِّر وصاحبته ليلى الاخيلية ثلاث قصائد ، وقصيدة لعبد الله بن الحُمير شقيق توبة ، واثنتان لعبد الله بن سلمة . وخمس للنمر بن تولب ، وإحدى عشر قصيدة لابن مقبل الذي نشر مجمعنا ديوانه ، وثلاث للمخبّل ، وقصيدة لعوف

ابن عطية ، وقصيدة لبَشامة بن الغدير ، وستٌ للأسود بن يعفر ، وخمسٌ لجران العَود ، وواحدةٌ للرّحال بن مَحدوج ، وأخرى لزهير بن جَناب ، وخمسٌ لعنترة ، وقصيدةٌ لكلٍ من الحارث بن حلّزة وعمرو بن كلثوم وحُصَين ابن الحمام ، وثلاث عشرة مقطوعةً لَعبيد بن الأبرص ، وثمانٍ لأوس بن حجر ، وتسعة لبشر بن أبي خازم الذي نشرنا ديوانه ، وواحدة لكلٍ من ثعلبة بن صُعَير وعبد يغوث ؛ وهنا ينتهي الجزء الأول من أجزاء الديوان العشرة .

وعشرون قصيدةً لجميل بن معمر العذري . واثنتان لكل من سَلَمة بن الخرشب ، ومُزرّد بن ضِرار الذّبياني ، وهو أخو الشمّاخ ، وعبدة بن الطبيب ، وذي الإصبع العَدواني ؛ وفي هذا الديوان أيضاً إحدى عشرة قصيدة لعُروة بن أُذينة ، وسبعٌ للمتوكل الليثي ، وخمس للاشتراكي العربيّ عُروة بن الورد ، وثلاثٌ ومقطوعةٌ لعبيد بن أيوب ، وثلاثٌ للخطيم المحرزي ، وواحدة للسمهري بن بشر ، واثنتان لجحدر بن معاوية العكليّ ، وواحدة لطهمان بن عمرو الكلابي ، وأربع للقتّال واسمه عمرو بن مجيب الكلابي ، وهؤلاء الخمسة من لصوص الأعراب ، وأربع قصائد لعبيد الله بن الحرّ الجُعفي ، وقد جعله السكري لصاً ولم يكن لصاً بل ثائراً مع عصابته على المسيطرين من الحكام ، وخمس قصائد في هذا الديوان لدريد بن الصمة ، وستٌ للشمردل بن شريك اليربوعي ، وواحدة لشبيب بن البرصاء المُرّي ، وهي مما قرأه المؤلف على شيخه ابن الخشاب ، واثنتان لعوف بن الأحوص الكعبي ، وواحدة لكل من الأخنس بن شهاب التغلبيّ ، ومَعن بن أوس المزني ، والحارث بن ظالم المُرّي ، وعامر الخصفي ، ومعاوية بن مالك مُعوّد الحكماء ، وجابر ابن حَنيّ التغلبي ، وهي مفضلية قرأها ابن ميمون على شيخه ابن الخشاب ، وثلاث لكلٍ من المثقب العبدي ، والمرقّش الأكبر والمرقّش الأصغر ، وواحدة لأوس بن غلفاء الهُجيمي ، وهنا ينتهي

الجزء الثاني من هذا السفر الأول ، وفيه مئة قصيدة من عيون الشعر ، ومختارة من دواوين لأولئك الشعراء الذين كانت دواوينهم قبل هولاكو في أمن وسلام بمدينة السلام .

ويبدأ أول الجزء الثالث بشعر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ، وقد أثبت له من شعره ست عشرة قصيدة ، بها ينتهي السفر الأول الجدير بالتحقيق والنشر ، ويتلوه السفر الثاني ، وفي جزئه الأول تتمة شعر كثير صاحب عزة الموجود في الدار المصرية .

والآن يحدّثنا المؤلف عن نفسه وعن طريقة جمعه للديوان بقوله في مقدمته :

« هذا كتاب جمعت فيه ألف قصيدة اخترتها من أشعار العرب الذي يستشهد بأشعارهم ، وسميته (منتهى الطلب من أشعار العرب) وجملته عشرة أجزاء [في ستة أسفار] وضمّنت كل جزء منها مئة قصيدة ، وكتبت شرح بعض غريبها في جانب الأوراق ، وأدخلت فيه قصائد المفضليات وقصائد الأصمعي التي اختارها ، ونقائض جرير والفرزدق ، والقصائد التي ذكرها ابن دريد في كتاب له سماه الشوارد ، وخير قصائد هُذيل ، والذين ذكرهم ابن سلام الجمحي في كتاب الطبقات ؛ ولم أُخلّ بذكر أحد من شعراء الجاهلية والإسلاميين الذين يستشهد بشعرهم ، إلاّ مَن لم أقف على مجموع شعره ولم أره في خزانة وقف ولا غيرها ، وإنما كتبت لكل أحدٍ ممن ذكرت أفصح ما قال وأجوده ، حتى لو سَبَرَ ذلك عليّ منتقِدٌ بعلمٍ عَرَفَ صدقَ ما قلتُ ؛

واخترت هذه القصائد ، وقد جاوزتُ ستين سنةً ، بعد أنْ كنتُ ، منذ نشأتُ ويفعت ، مُبتلىً بهذا الفن ، حتى إني قرأت كثيراً منها على شيخي أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب رحمه الله حفظاً ، وعلى شيخي أبي الفضل بن ناصر وغيره من اقرانه ، ونسختُ معظم دواوينها ؛

ولما أردت أن أجمع هذا الكتاب على ترتيب الشعراء ، وتقديم بعضهم على بعض لم يمكني ، لأنه لم يتفق أن أقف على ذلك على ترتيب فأعذر في ذلك ؛ وإنما قدّمتُ كعب بن زهير ، وختمته بهاشميات الكميت تيمّناً وتبركاً بمدح رسول الله ﷺ في قصيدة كعب بن زهير ، وذكره في شعر الهاشميات التي ختمتُ بها هذا الكتاب ؛

وكان جمعي لهذا الكتاب في شهور سنتي ثمانٍ وتسعٍ وثمانين وخمسمائة بمدينة السلام ، ولقد وقفت على كتب كثيرة جمعت من الشعر ، فلم أرَ من بلغ إلى ما بلغت من الاستكثار والمدد .

ولمؤلفه الإمام الأديب سند لكثير من الشعر الذي قرأه على شيخه اللغوي ابن الخشاب ، والسند التالي أذكره على سبيل المثال فقد كتب في مطلع لاميته (بانت سعاد) ما نصه : وقرأت هذه القصيدة في سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة على الشيخ احمد بن عليّ بن السمين ، ورواها لي عن أبي زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي عن أبي محمد الحسن بن علي بن الخطيب التبريزي عن أبي محمد الحسن بن علي الجوهري ، عن أبي عمرو محمد بن العباس الخزّاز عن أبي بكر محمد بن القاسم الانباري عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن ابراهيم بن المنذر الحزامي عن الحجاج بن ذي الرُّقيبة بن عبد الرحمن ابن كعب بن زهير المزني عن ابيه عن جده كعب .

هذه ثلاث كلمات عن ثلاث مخطوطات : اثنتان منها من ذخائر قبة الملك الظاهر والثالثة من نفائس تراثنا القديم في خزائن المدرسة السليمانية ، ويرحم الله القائل:

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

عز الدين التنوخي